أقدار

ريهام سرهود

انقضى شهرأذار، وبدأت الطيور تحلق في السماء بنشوة مطلقة، تصفق باجنحتها وتنطلق إلى الفضاء البارد، تسكن تلك الاجنحة وتترك الريح تتحكم في مسار أجسادها الصغيرة. حام اثنان من تلك الطيور حول عمود الكهرباء، ثم أستقرا على نهايته، بالضبط عند الزاوية التي تشكل علامة الصليب(+)..

راح الذكر يدور حول المكان، يتفحصه ثم ينظر إلى أنثاه نظرات متسائلة فيما إذا كان ذلك المكان ملائما. يرفع جناحية نشوة وفخراًوكأنه يهنئها بالمكان الجديد ثم يعود ينظر إليها في حبور. حلق بعيدا ودار اكثر من دورة فوق المكان ثم تختفي، وبعد دقائق جاء حاملا بمنقاره قشة صغيرة..مدت الآنثى رقبتها مطمئنة، التقطت القشة بمنقارها ووضعتها تحتها ثم حركت رأسها ونفخت صدرها راجية المزيد، حدق الذكر في موضع القشة ليطمئن ثم حلق ثانية، والآنثى تنتظر، وما ان وصل حتى هدل بصوت رقيق فتماهت معه بهديل ناعم يحمل نبرة الرضا والإطمئنان. خرجت من العش لتمسح المكان بعينين حالمتين للتأكد من ثباته بين أذرع الصليب ثم عادت تنتظر،

وعاد الذكر يواضب على اكمال العش، حتى تعامدت الشمس على العمود. وقف الأثنان امام العش وعلى طرف العمود وراحا يتفحصانه ويدوران حوله حتى حل الغروب، عندها قفزا فوق السلك المربوط على جانبي العمود، ألقيا نظرة أخيرة ثم غادرا المكان.

عادا ولم تكد الشمس تبزغ. حلقا فوق المكان ودارا دورتين ضيقتين، ثم وقفا على مسافة قصيرة. طار الذكر ليقف على أعلى نقطة في العمود متأملاً العش ثم لحقت به أنثاه حتى استقرت على العش، وراحت تحرك جسدها فوقه حركة دائرية، وهي ترمم أطرافه، تزيل العيدان الناتئة، وترتق الثغرات ثم راصفت جسدها بالعش. بعد ساعات من القلق اقترب الذكر منها، إذ أحس أن حركاتها قد اتسمت بشيء من العصبية والهيجان وعدم الاستقرار، فقد انتفخ جسدها ونفش ريشها واتسعت عيناها. فراح يداعبها بحنان مفرط، وهي تنظر اليه وكأنها تعاني أمراً مزعجا. وبعد دقائق هدأت، فرفع الذكر جناحيه بسعادة فقد انتهى قلقه، هنأها بنظرات لتخلصها من ذلك الطارئ. وبعد يومين تكرر قلقه حتى وضعت انثاه البيضة الثانية ولم تغادر بعدها العش. بينما حلق الذكر، ثم وقف على شجرة قريبة وهو يرسل نظراته حانية لرفيقته حتى أطمان تماما إلى أن عشه الصغير قد ضم بيضتين.

ولم يظنا أن تلك الشمس التي تغمر المكان سرعان ما تحجبها غيوم رمادية

تناثرت على صفحة السماء، ما لبثت أن تجمعت وتظافرت لتشكل غيمة كبيرة، لتتحول إلى لون أكثر قتامة، ثم مالت إلى السواد. فما كان من الذكر إلا أن غادر الشجرة، وجثم قرب أنثاه ليطمئنها بمنقاره وجناحية.

غير ان البرق الذي ملأ اركان السماء، وصوت الرعد القاصف، لم يتركا مجالا للشك بأن شيئا مريبا سيحدث.

خفضت الانثى جناحيها وفرشتهما حتى غطت العش كله، ثم وضعت منقارها تحت جناحها والصقت جسدها على البيضتين. أزداد صوت الرعد رعبا وقسوة، تساقطت بعض قطرات من المطر، فاخذت نظرات الذكر تدور بين العش وبين عيون انثاه. طار إلى مسافة قريبة، وظل يتقافز بين الأغصان ويئن، داعياً اياها لترك العش واللجوء إلى مكان أكثر امنا، عاد ثانيه وهدل هديلاً متواصلاً، ثم هدل بما يشبه البكاء، طار إلى الشجرة، لكن انثاه بدت مصممة على البقاء، بل زاد التصاقها ببيضتيها.أحتمى بين ألآغصان، ونظراته تتنقل بين انثاه والسماء، نزل مطر خفيف ثم توقف. وأعقبه سقوط الثلج (الحالوب). كانت كرات الثلج تتساقط بسرعة مذهلة وكانها تقذف من فوهة مدفع، كرات كبيرة بحجم رأس الطير..

تكسرت بعض أغصان الشجرة، نتيجة ارتطام تلك الكرات بينما تشظت

بعضها على العامود، وتكدس البعض الآخر فوق راس الآنثى وظهرها، إلاّ أنها لم تصل إلى العش او البيض.ولم يطل سقوط الثلج.فقد هدأ كل شيء، انقشعت الغيوم، وانكشفت السماء، ومدت الشمس أشعتها. طار الذكر إلى أنثاه. وقف قريبا، منها مد رقبته باتجاه رأسها الذي أنحنى على العش. حاول تحريكه بمنقاره، اطلق هديلا متواصلا، لكن العنق الملتوي لم يتحرك. حدق في عينيها الجاحظتين وخيط الدم الذي سال من منقارها ووقف على العمود وهو يتقافز ويئن انينا مجروحا...

***